اختيار الموضوع وكيفية تحديده

يمر البحث العلمي بمجموعة من المراحل المتسلسلة والمتسقة والمنظمة، ولعل مرحلة اختيار الموضوع من بين أهم المراحل التي عل الباحثين مراعاة معاييرها وتحديد الموضوع بتأني حتى يتسنى لهم التقدم بطريقة سلمية، سلسة وتتضح المعالم الأساسية والجزئية للدراسة البحثية.

وموضوع البحث والمشكلة البحثية تمثل الانطلاقة المنطقية لأي جهد بحثي هادف، وهو القاعدة التي تبنى عليه المراحل البحثية اللاحقة من بناء الإشكالية ووضع الفرضيات العلمية والمناهج، والمعلومات التي يجب توفرها إلى اختيار أدوات جمع البيانات. ولهذا فالباحثين في هذه المجالات يؤكدون على أهمية هذه المرحلة من البحث كونها نقطة الانطلاق في تحديد استراتيجيات البحث العلمي، فمن خلال اختيار الموضوع يتضح لدى الباحث نوع الدراسة، طبيعة المناهج والأدوات اللازمة، وكذا البيانات والمعلومات الواجب توفرها والمفاهيم التي يجب تحديدها، والفروض التي ينبغي اختبارها وأيضا نوع العينة وغيرها.

ولأن البحث في العلوم الاجتماعية صعب، شائك ومعقد كون الباحث الاجتماعي يجري تجاربه ودراساته على البشر إذ لا يمكنه التحكم والتصرف في الظواهر الاجتماعية داخل المختبرات كما يحدث في دراسة ظواهر العالم الطبيعي من جهة ومن جهة أخرى تشابك الظواهر الاجتماعية وتداخل عوامل متعددة في حدوثها مما يصعب من ضبطها والسيطرة

عليها؛ فإن مهمة اختيار موضوع البحث في ميادين العلوم الاجتماعية والإنسانية تنطوي عل الكثير من التعقيد والمسؤولية.

ولإيجاد الموضوع لابد من الأخذ بعين الاعتبار الوقت الكافي للتفكير في ذلك لمعرفة الاحتمالات المختلفة للتفكير في ذلك، فالتفكير المعمق خطوة أساسية للتقدم والانتقال إلى المراحل اللاحقة من البحث. لأن ما يجعل عملية اختيار الموضوع أمر معقد للغاية كون العملية تتأثر بعديد من الظروف والعوامل المتشابكة والمتداخلة والتي لا يمكن تجاوزها بسهولة، سواء أكانت عوامل ذاتية كالخبرات السابقة والميولات الفكرية وكذا الاتجاهات الثقافية و كذا الرغبات الشخصية والتخصص، كما يمكن للظروف المحيطة والمجتمع أيضا أن تؤثر على عملية الاختيار.

مصادر الإلهام: حدد موريس انجرس مصادر الإلهام في مجموعة من العناصر كما يلي:

التجارب المعيشة، رغبة الباحث في أن يكون البحث مفيدا، ملاحظة المحيط، تبادل الأفكار والبحوث السابقة.

التجارب المعيشة: يمكن لخبراتنا اليومية وتجاربنا المعاشة مصدرا من مصادر الالهام لاختيار موضوع البحث، حيث يمكن أن تكون العائلة، المؤسسة التعليمية، مؤسسات المجتمع، علاقاتنا مع الآخرين... أو تفاعل هذه العناصر مع بعضها البعض والتي يمكن أن تشكل عناصر هامة لاختيار موضوع البحث.

الرغبة في أن يكون البحث مفيدا: الرغبة الهادفة قد تكون صدر إلهام بالنسبة للباحث من خلال اهتمامه بالطلب والاحتياجات الممكنة.

ملاحظة المحيط: يمكن أن يشكل ملاحظة المحيط عنصرا هاما من مصادر الإلهام لذى الباحث؛ فالمشاهد اليومية، المواقف، التصرفات كفيلة بأن تحرك رغبات الباحث في الاكتشاف أكثر لهذه المظاهر اليومية وتحديد موضوع البحث.

تبادل الأفكار: فالنقاشات وتبادل الأفكار مع الآخرين مهم في العثور على موضوع للبحث، حيث أن فتح المجال والأفق لتبادل الأفكار يمكن من إثارة مواضيع لم تخطر على بال الباحث، وتوقظ فيه روح البحث والاهتمام بالقضايا المثارة، بحيث يمكن أن يفيد ويستفيد.

البحوث أو الدراسات السابقة: تعتبر البحوث السابقة من الأسس التي لا يمكن الاستغناء عنها في مرحلة اختيار موضوع البحث، كونها تشكل امتداد للبحوث السابقة، فهي هنا بمثابة طريق للاستكشاف، تمكن من الإلمام بجوانب الموضوع المطروح.

القراءات لوثائق معينة: كالمجلات والدوريات، والتي يمكن أن تنير الباحث إلى مواضيع يرغب في اكتشافها والتعمق في تفسيرها من زوايا أخرى.

ويحدد **علي غربي** أهم العوامل التي تتدخل في اختيار الموضوع في عاملين رئيسيين واللذان يعدان لدى الكثيرين بمثابة مصادر البحث:

1- **عوامل ذاتية:** وهي التي ترتبط بذات الباحث نفسه، مثل الخبرات، الاهتمامات والميولات، وتكوينه المعرفي...

2- **عوامل خارجية:** وهي التي ترتبط بالبيئة الاجتماعية المحيطة.

وعليه فإن اختيار موضوع البحث لا بد من أن يحظى بعناية فائقة من الدقة والاهتمام، حيث كلما تم تحقيق ذلك أدى إلى تسهيل مهمة البحث والوصول إلى تحقيق الأهداف البحثية والعكس صحيح، فالتوفيق في اختيار موضوع البحث معناه السيطرة والتحكم في جميع جوانبه والإحاطة به من الناحيتين النظرية والميدانية.